



في ذكرى المذبحة الكبرى ، الفارق الأخلاقي بين اقتحام البرلمان الروسي واقتحام رابعة (1 - 4)

بقلم: رانف محمد الويشي

14 أغسطس 2014

كارثة ميدان رابعة العدوية وأخواتها في ميادين وشوارع مصر ستتسع بمرور التاريخ ، وكلما بحثها المختصون زاد اتساعها وغاص عمقها وفاحت رائحتها ، وسيضم إليها تعاطفا كل من يحمل بعض المشاعر الإنسانية ، وفطرة الناس ستتصر لإدانة العسكر ، حتى لو كانت مواقفهم معادية للإخوان المسلمين ، وفوق الباحثين يحفظ صاحب الملكوت وعالم الغيب وعده لمن قتل الأمنيين ، ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر..

يعرف الناس أن الإخوان غدروا بالثوار في الميدان منذ بداية الثورة وتركوهم وحدهم ولعنوهم سبا وهتافا ، ونعتوهم بالخيانة للخارج في مظاهرات مليونية لأنصارهم عديدة .. لقد تملق الإخوان العسكر بعد أن أثاروا لعابهم الجاف المتعطش للثروة والسلطة وعقدوا معهم ليليل اتفاقيات غدر في شهر عسل مستتر علي حساب الثورة ، الإخوان كانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، كان ظاهر تلك الاتفاقيات – كما توهم الإخوان !! - أن يتسلم الإخوان الحكم ، وكان باطنها – كما خطط العسكر - هو تفتيت وحدة الميدان في المرحلة الأولى ، والإنفراد بالإخوان وتفتيلهم في المرحلة الثانية ، ثم عودة الحكم إلى أحضانهم برغبة ملحة من الشعب المرّوع في أمنه ورزقه بأفعال بلطجية العسكر وكوادرهم بالدولة العميقة في المرحلة النهائية الثالثة ..

كما يعرف الناس أن الإخوان صمّوا آذانهم وأعرضوا عن كل من ناشدهم بالعودة للميدان وحذرهم من خديعة العسكر ، فلما دارت عليهم دائرة الغدر الدموية المعروفة عادوا للميدان ، وصمّموا بعزيمة قوية أن يفعلها معهم العسكر ، وشرب تلامذة طنطاوي - الغير مدربين - المقلب وارتكبوا المذبحة التاريخية التي ستبقي علي طول التاريخ تفضحهم وتكس رؤوسهم ..

لقد سقط الإخوان في جولة وسينجحون في جولات قادمة ، ونجح العسكر في جولة وسيسقطون في كل الجولات القادمة ، لكن الذي يدمي القلب أن ثمن هذا الصراع بين المجلسين اللئيمين – مكتب الإرشاد والمجلس العسكري - كان وسيظل لسنوات يعلمها الله من دم شعب مصر ومقدراته ..

لقد انتصر كبير الكهنة الأول في مكتب الإرشاد ، ومن وراء القضبان بيتسم في راحة واطمئنان مع تلامذته ، فهم علي ثقة أنهم قد مهدوا الطريق لأجيالهم القادمة بضم الكثير من المتعاطفين لصفهم داخل مصر وخارجها علي حساب دماء شعبهم ومقدراته ..

كما انتصر كبير الكهنة الثاني في المجلس العسكري رغم إقالته علي يد الأول ، ووصل تلامذته بخديعة كبري إلي سدة الحكم علي حساب دماء شعبهم أيضا ، وهم علي ثقة أيضا أن الثروة والسلطة قد عادت لأحضانهم ولن يتركوها إلا بالقوة ، كما هي عادة العسكر !

في الحلقة الأولى اليوم من هذه الدراسة سنلقي بعض الضوء علي نموذج من نماذج الاقتحام العسكري للاعتصامات حول العالم ، الهدف من ذلك هو أن نقارن بين الحالتين هنا وهناك ، كي نستخلص العبر ونتجنب الخديعة ونحفظ الذكرى في الأجيال القادمة ، حتى لا يدفعوا ما دفعه هذا الجيل المخدوع من دماء ..

نزل إلي الأسواق منذ فترة قريبة كتاب هام لرجل هام كان يجلس علي جبل من الأسرار التي يمكن لها أن تهز خريطة العالم هزا عنيفا ، الكتاب اسمه " ألفا ، قدرتي " ، مؤلفه هو الجنرال غيناودي زايتسف والذي كان قائدا لقوات النخبة التي يطلق عليها اسم " ألفا " في جهاز أمن الدولة السوفيتية KGB ..

قاد هذا الجنرال العظيم وحده بلاده - في صمت المتواضعين المناضلين ودون تكليف من أحد - كي تتجنب الدخول في حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس ، لقد استحق لقاء ذلك أن يُمنح لقب " بطل الاتحاد السوفيتي " ، لكن الأكثر من ذلك هو أنه سيبقي رمزا للحكمة والقوة والذكاء والرحمة في قلوب شعبه ، فياله من محظوظ !

**ما هي تلك القوات ، ومن هو هذا الرجل ؟
ماذا فعل قائد قوات ألفا كي يمنع إراقة الدماء ؟**

تكونت قوات " ألفا " - Alfa - كقوة سرية لمكافحة الإرهاب داخل جهاز أمن الدولة السوفيتية KGB في 28 يوليو من عام 1974 ، ترأس قوات ألفا منذ بداية تكوينها غينادي زايئسف ، يشير التاريخ بوضوح إلي أنه من تلاميذ رجل الإتحاد السوفيتي وقائد مخابراتها القوي يوري أندروبوف..

كان وراء قرار إنشاء تلك القوة حوادث تكرر عمليات خطف الطائرات بغرض الهروب بها خارج الأراضي السوفيتية من قبل اليهود ، صاحب تلك العمليات فشل من قبل القوات السوفيتية بعدم إنجاز واضح ، خاصة بلعملية الأخيرة حين خطفت مجموعة من المراهقين يقودهم شاب طائرة سوفيتية من طراز ياك 40 كانت في رحلة داخلية من موسكو وأجبروا قائدها علي مغادرة البلاد ، لكن قائد الطائرة عاد إلي موسكو وخذع الشباب الخاطفين الذين ظنوا أنه علي وشك مغادرة البلاد ، في مطار موسكو اقتحمت القوات الخاصة الطائرة ، صحيح أنه لم تقع ضحايا في تلك العملية ، إلا أن ثقب رصاص القوات المقتحمة أصابت كل الطائرة للدرجة التي لم تعد بسببها صالحة ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : ولد أندروبوف في عام 1915 وتخرج من كلية هندسة السفن في شمال روسيا ، في عام 1940 أصبح سكرتير الشبيبة الشيوعية في مدينة بيتروزافودسك في شمال غرب روسيا ، أصبح سفيرا لموسكو في بودابست في فترة قمع الثورة المجرية في عام 1956 ، تولى أول منصب أمني في عام 1957 ، تولى رئاسة KGB في عام 1967 ثم سكرتيرا عاما للحزب الشيوعي السوفيتي في نوفمبر 1982 في أعقاب وفاة ليونيد بريجنيف ، بقي في منصبه حتى وفاته في فبراير 1984 من جراء مرض في كليته..

الملاحظة الثانية : الاعتراف بالفشل هو بداية التصحيح ، أما أولئك الذين لا يعترفون بفشلهم فلا يمكن أن يتعلموا ، لقد فشلت قوات الصاعقة المصرية في فبراير عام 1978 في قبرص وقتل فيها العشرات من قوات الصاعقة ، وفشلت أيضا في عام 1985 في تحرير الطائرة المصرية المخطفة في مالطا ونتج عن ذلك قتل أكثر من ستين من الركاب ، وفي الحالتين قدم النظام وإعلامه الخبر إلى الشعب علي أنه انتصار كبير !!) ..

يزخر كتاب " ألفا ، قدرتي " بالعديد من الأسرار ، سواء علي المستوي الداخلي السوفيتي أو علي المستوي الدولي الناتج من الدور الرئيسي الذي لعبه الإتحاد السوفيتي على المسرح العالمي ، لكننا سنركز في مقالنا علي ما تناوله المؤلف - صانع الحدث - في شأن اقتحام البرلمان الروسي في أكتوبر من عام 1993 ..

تولي بورييس يلسين رئاسة جمهورية روسيا الاتحادية في 10 يوليو 1991 ، وبعد عدة أسابيع تفكك الإتحاد السوفيتي في أغسطس 1991 ..

كانت الأنية المتوحشة قد ظهرت في سلوك بورييس يلسين ، أضف إلي ذلك عمليات فساد منه ومن المحيطين به أدت إلى تدهور الاقتصاد الروسي الذي كان قد خرج للتو من عباءة الإتحاد السوفيتي وهو محمل بأعباء عديدة ..

لم ترق تصرفات بورييس يلسين إلى الكثير من المحيطين به لما رأوه تدميرا سريعا للدولة الروسية ، ساعدهم في ذلك سخط شعبي أخذ في التنامي بين الروس ، فقد اتهموه بأنه جاء ليكمل دور جورباتشوف الذي فكك الإتحاد السوفيتي ودمر اقتصاده..

بدأت الأزمة في 21 سبتمبر 1993 بقرار من الرئيس بورييس يلسين بحل البرلمان الروسي وذلك في مرسوم رئاسي يحمل رقم 1400 ، كان السبب هو معارضة أعضائه لقرارات اقتصادية أصدرها الرئيس يلسين لا تلقي تأييدا من الشعب الروسي ورأي الأعضاء أنها تضر بالمصالح الاقتصادية العليا للبلاد ..

بعد عدة أيام من المرسوم الرئاسي المذكور قاد نائب الرئيس الروسي الجنرال ألكسندر روسكوي انقلابا ضد بورييس يلسين من داخل

البرلمان – الذي كان في حالة انعقاد دائم - وأعلن نفسه أنه قد أصبح الرئيس الفعلي للبلاد بعد موافقة أعضاء البرلمان علي ذلك .. كان مع الجنرال روسكوي داخل البرلمان العديد من قيادات الدولة الروسية منهم رئيس البرلمان الروسي رسلان حسبولاتوف وبعض الوزراء ومئات من أفراد القوات المسلحة والمتطوعين بكامل أسلحتهم ..

في 28 سبتمبر نزل الآلاف من الساخطين الروس إلي شوارع موسكو يعبرون علي اعتراضهم علي قرارات بوريس يلسين ، أطلقت الشرطة النار علي بعضهم .. تحصن جميع المذكورين داخل مبني البرلمان وحاصروه لحمايته من الاقتحام ، وتداعي الجميع لحمل السلاح لتدعيم دفاعات البرلمان ضد أي اقتحام من قبل القوات الحكومية ..

تناول الجنرال غينادي زائتسف في كتابه المذكور عملية اقتحام مبني البرلمان الروس في 4 أكتوبر عام 1993 ، وفيه كشف زائتسف الكثير من الأخلاقيات العامة للجيش في الدول المحترمة ، قوام تلك الأخلاقيات تتمحور حول نقطة واحدة ، وهي أن تلك الجيوش قد تشكلت بأموال الشعب لتحميه وليس لتقتله ..

يقول الجنرال زائتسف في شأن اقتحام البرلمان الروسي ما يلي :

" بدأت القصة عندما دُعينا إلي مكتب الرئيس بوريس يلسين ، طلب منا آنذاك أن نقترح مبني البرلمان ، استدعينا للحضور إلي مكتبه البيضاوي في الساعة الرابعة والنصف صباحا حيث كان مجلس الأمن منعقدا (يقصد طبعا مجلس الأمن الروسي وليس الأممي) ، أجلسونا علي الكراسي لكن قرب الجدران ، أقصد بـ نحن : الجنرال دميتري جراماسيموف قائد مجموعة " فيمبل " للعمليات الخارجية وأنا بصفتي قائد مجموعة ألفا للعمليات الداخلية .. قال لنا الجنرال ميخائيل بارسوكوف رئيس الإدارة رئيس الإدارة العامة للحرس الرئاسي : إن أول المتحدثين هو دميتري جراماسيموف ، وتم التبليغ ..

إليكم ما كتبه يلسين نفسه عن ذلك : الجميع نكسوا رؤوسهم وجلسوا صامتين متوترين ، وجّهت إليهم سؤالا : هل ستنفذون أوامر الرئيس ؟ زاد صمت ثقيل ، عندئذ طرح يلسين سؤاله بصورة أخرى : هل ترفضون تنفيذ أوامر الرئيس ؟ ساد الصمت الثقيل من جديد ، رغم ذلك قال يلسين لبارسوكوف ولي أنا : علي كل حال أوامر الرئيس يجب أن تنفذ ! أي أسئلة يمكن أن نوجهها إلي الرئيس في هذه الحالة؟! لكن عندما اصطفنا في تشكيل قتالي أمام البرلمان قال لنا الجنرال بارسوكوف : إما أن تقتحموا البرلمان أو أصدر أمرا بحل مجموعتكم ، الحقيقة أنني قلت في نفسي حين قال ذلك : من يا تري سيتجرأ علي نزع السلاح منا؟! "

حين ذلك قال له أحد معاوني ، وهو المقدم إيغور فينوجيف : أعطونا أمرا بالاقتحام أو تعليمات من المحكمة الدستورية ، لكن جواب الجنرال بارسوكوف كان : كيفكم الأمر الذي صدر من الرئيس ! كان الوضع في غاية الصعوبة ، فمن جهة كان علينا أن ننفذ الأمر لأن الرئيس هو الذي أصدره ، ومن جهة أخرى كنا نري أن تنفيذ هذا الأمر سيؤدي إلي بحر من الدم ، كان يلسين يدرك حجم الأعداد الغفيرة المتواجدة داخل البرلمان ، لقد استنتجت أنه يريد ألا يبقى أحد من معارضيه حيا داخل البرلمان ..

لقد حررنا البيت الأبيض (هكذا يسمي مبني البرلمان الروسي) علي طريقتنا بدون إطلاق رصاصة واحدة ، لقد أصدرت المحكمة الدستورية الروسية فيما بعد حكما يقضي بعدم قانونية المرسوم 1400 الذي قضي بحل البرلمان ، وبالتالي فإن اقتحامنا للبرلمان علي طريقة الرئيس يلسين كان غير قانوني أيضا ، أنهينا عملية البرلمان ، ليس كما أراد الرئيس ولكن كما أردنا نحن .. هل يتصور إنسان الوضع الذي كنت فيه كقائد لقوة ألفا وأنا أقف أمام البرلمان؟! لو لم أتمكن من إنهاء تلك المشكلة بطريقتي لقام الرئيس يلسين بحل قوتي وتسريح أفرادها ، لقد فكرت في أفراد قوتي والمصير الذي ينتظرهم في حالة رفضنا اقتحام البرلمان .. إن الرئيس الذي نأتمر به (يقصد يلسين) دمر بلاده من أجل أن يجلس علي العرش ، وأزاح جورباتشوف من طريقه ، والآن يريد هذا الشخص أن يدمر برلماننا بالدبابات والمدافع ثم يقتحمه بواسطة تشكيلنا ، إنه يريد منا أن نطلق النار علي أبناء وطننا من أجل تعزيز سلطانه ..

لقد تصرفنا خلافا لأوامر الرئيس ، لكننا حققتنا النتائج المطلوبة وهو إخراج كل من في البرلمان ، لقد عانينا كثيرا بحثا عن مخرج ، لقد تمكنا من ذلك عن طريق التفاوض مع أعضاء البرلمان ..

لقد أرسلت إلي المتحصنين اثنين من رجالي ، لقد التقينا هناك بفيكتور بارانيكوف الذي كان وزيرا لأمن الدولة ، كذلك التقينا مع

شخصيات أخرى ، لقد شرحنا لهم أن لدينا أمرا باقتحام المبنى ، لقد عصينا وأمر الرئيس وقررنا إنهاء احتلال البرلمان بطريقتنا ، لم ننسق مع أحد ، رجال ألفا قرروا إنهاء تلك الأزمة دون دماء ، لم يكن للسياسة رغبة في إنهاء تلك المشكلة سلميا ، كانوا يريدون قتل الجميع بالداخل ، لم نرغب في سفك دماء الأبرياء ، لقد قدمنا لبوريس يلسين ما كان يريده ولكن ليست بطريقته ، لم نخالف أوامره من حيث النتائج المرجوة ..

أما السياسة فقد تصرفوا معنا بعد إنهاء احتلال البرلمان بأسلوب خشن ، لقد أصدروا لي أمرا بإعداد كشوف بأسماء العسكريين في ألفا ، أدركت علي الفور أنهم سيسحبون مني أفراد واحد بعد الآخر لتوزيعهم علي الوحدات والتخلص من قوة ألفا ، طرقت أبواب جميع المكاتب للحفاظ علي قوة ألفا ، البعض قابلني والآخر رفض ، في النهاية تمكنت من عدم تسريح قوة ألفا .. أما أفراد قوة " فيمبل " المتخصصة في العمليات الخارجية فقد كانوا معنا أيضا أمام البرلمان ، لكنهم أداروا ظهرهم لأوامر الرئيس وقرروا تضييع الوقت وإهداره ، أما نحن فسلطنا طريقا آخر وهو تقديم الحلول لتنفيذ أوامر الرئيس دون إراقة الدماء .. لقد تم قنص أحد قوات ألفا أمام البرلمان وقتله ، تم ذلك بصورة متعمدة من طرف ثالث كي يدفعنا لننتقم ونقتحم البرلمان ، لقد أتت رصاص القنصرة من فندق أوكرانيا (الفندق يشبه في ضخامته مبني مجمع التحرير !) وكان القناصة منتشرين في طوابق هذا الفندق المرتفع ..

أصدرت أمرا لقواتي أمام البرلمان بالتعامل مع قناصة فندق أوكرانيا الذين يطلقون النار علي قواتي ، لكن أوامر من جهات عليا أنت لي بعدم التعامل مع القناصة ، هذه قضية خطيرة لا أود الحديث عنها ، إنها قضية غامضة والتاريخ لن يعطي جوابا شافيا علي قناصة فندق أوكرانيا ومن أرسلهم ! بعض الناس قال أن القناصة جاءت من وحدات خاصة إسرائيلية تسمى البيتار .. لن أغير رأبي في الرئيس بوريس يلسين بخصوص تلك القضية ، كان يجب تقديمه إلي المحاكمة ، لقد كان داخل المبنى أناس بسطاء من أفراد الشعب ، كيف يمكن إطلاق النار علي شعبنا !؟ لو أنني أصدرت آنذاك أمرا باقتحام البرلمان لكانت يداي الآن ملطختين بالدماء ولكنك أستحق الإعدام ، لم يحصل مقاتلوا " ألفا " في مقابل ذلك إلا علي الإهانة " .. انتهى ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : منظمة البيتار كانت جزءا من منظمة الأرجون الإرهابية الإسرائيلية ، وقد انشقت الأرجون إلى عدة أقسام ، فبقي جزء منها في المنظمة الأم وآخر في منظمة شتيرن بقيادة إبراهيم شتيرن وثالث في منظمة بيتار Betar ، وقد اندمجت تلك المنظمات مع الهجاناه – المنظمة الأكبر - وكونوا جيش الدفاع الإسرائيلي مع قيام إسرائيل في عام 1948 ، لكن بقيت منها بقايا بالشتات ، وبطبيعة الأمور كان لهذه المنظمات وجود بين يهود الإتحاد السوفيتي ، لقد كان هدف البيتار هو انتصار يلسين - الذي كان فاسدا ومواليا للغرب وأنايا - علي المتحصنين داخل البرلمان الروسي المشتاقين لعودة قوة الإتحاد السوفيتي ..

الملاحظة الثانية : لم تتوقف رجولة وسماحة وحكمة الجنرال غينادي زايتسف عند حد فض الاعتصام سلميا دون إراقة دماء ، بل أيضا علي طريقة خروج المعتصمين داخل مبني البرلمان ، فقد خرج جميع المعتصمين بالمبني – بدءا من نائب رئيس الجمهورية الجنرال ألكسندر روسكوي ورئيس البرلمان رسلان حسبولاتوف والوزراء وحتى أصغر المعتصمين من الناس العاديين – وهم رافعوا رؤوسهم منفردين دون أن يلمسهم أحد أو يصحبهم من داخل مبني البرلمان إلي باصات متوقفة أمامه ، وفي هذا حفظ لكرامة الشعب ، فالجيش يستمد كرامته من الشعب ، فلا كرامة ولا رجولة لجيش يهين شعبه أو يقتله! ..

في الحلقة القادمة إن شاء الله سواصل الحديث ، فإلي لقاء ...

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com